

دور التجديد في قراءة النص الشرعي - الحديث النبوي أنموذجا -

The role of renewal in reading the legal text -The prophetic Hadith as a Modal-

د/ حدة عاشوري

Hadda ACHOURI

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة – الأغواط
Achourihadda75@gmail.com

تاريخ القبول: 2025/12/17

تاريخ الإرسال: 2025/04/12

الملخص:

التجديد هو تغير نظرنا إلى النص الشرعي نظرة تتماشى وعصرنا الجديد، حسب مقتضياته فحسب، أما النص في حد ذاته إما قرآنا أو سنة لا تجديد فيهما. فالقرآن هو كلام الله صالح لكل عصر وزمان، وهذه الصلاحية تدفعنا إلى ضرورة التماشي مع طبيعة العصر، والتماشي مع أهل ذلك العصر، فما يقنع فكرا في عصر ما قد لا يقنع فكرا آخر في عصر آخر، نفس الكلام مع الوجه الثاني للعملة الشرعية الواحدة وهي السنة، وأنا أتحدث على صحيح المرويات نسبا إلى رسول الله ﷺ. فعملنا سينصب على إيجاد نظرة جديدة، أي قراءة حديثة تتماشى مع فكر حديث يؤمن باللموس أكثر من المحسوس، وهذا لن يكون طبعاً باختراع جديد من النصوص الشرعية، وإنما هو بمثابة تحريك ساكن ليواكب عجلة الزمن المتسارعة والله من وراء القصد.

الكلمات المفتاحية: التجديد؛ النص الشرعي؛ القراءة الحديثة.

Abstract:

Renewal is the change of our view of the legal text, a view in line with our new era according to its requirement. As for the text itself, there is no renewal at all, it is either a Quran or a Sunnah. The Quran is the righteous words of God for every age and time and this advantage leads us to the need to be in line with the nature of this era and its people. The same talk with the second side of the same legal currency, which is the Sunnah, and I'm talking about the correct narrations that was narrated from the prophet peace be upon him, of course, our work will focus on finding a new look, that is a modern reading that is in line with modern thinking that believes in the tangible more than the abstract. This will not be, of course, by inventing new texts, but rather like moving a consonant to keep up with the rapid wheel of time.

Keywords: Renewal; legal text; modern reading.

توطئة:

الحديث عن التجديد حديث قديم، ونظرا لأهمية موضوعه وتجده عبر الزمن وحسب مقتضى الحال، فإن ضرورة التجديد أصبحت ملحة، وهو ما يفرض علينا البحث عن المفهوم الدقيق والصحيح لهذه الكلمة ومقارنة معناها بين الخلف والسلف حتى نمنح اللثام عن المقصود بها

لرفع اللبس عنها، وحتى نكون موضوعيين لابد أن نفهم معنى الكلمة ونوظفها توظيفا صحيحا واعتبارها حلا شرعيا بدل تعقيدها وجعلها إشكالا وسجالا وجدالا كما ذهب إليه بعض أصحاب النظرة القاصرة.

لذلك جاءت هذه الدراسة في مدخل ومبحثين، يتناول الأول مفهوم التجديد والثاني الأحاديث التي تدعم وتعزز حديث التجديد ثم خاتمة لأهم النتائج.

مدخل:

إذا عدنا للمعنيين الصافي لهذه الشريعة نجد أن لهذه الكلمة جذورا تاريخية مستوحاة من السنة النبوية، فقد ورد في التجديد حديث واحد رواه مجموعة من المحدثين أمثال: أبي داود في باب ما يذكر في قرن المائة من كتاب الملاحم بشجرة إسناد: حدثنا سليمان بن داود المهري، أخبرنا ابن وهب، أخبرني سعيد بن أيوب، عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة، فيما أعلم عن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا"¹.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ولا أعلمه إلا عند رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا"²، وعلق المحقق بسكوت الذهبي عنه في التلخيص، وعلق الألباني أيضا بهذا الحكم³.

كما رواه الطبراني في المعجم الأوسط⁴ بإسناد آخر حدثنا محمد بن زريق بن جامع بن عمر وابن سواد السرحي ثنا ابن وهب أخبرني سعيد بن أيوب عن شراحيل بنس بقاء الإسناد ونفس الرواية. كما رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار⁵.

وعليه اجتمع رواة هذا الحديث على مدار واحد وهو أبو هريرة، مع إيراد رواية واحدة تتحدث عن التجديد في الدين، فما معنى التجديد المقصود في هذا النص؟

المبحث الأول: مفهوم التجديد.

ولمعرفة المعنى المقصود في الحديث لابد من الرجوع بداية إلى علماء اللغة لأنّ النصّ سواء قرآن أو سنة جاء بلغة عربية، وبعدها نخرج على بعض العلماء للتعرف على اصطلاحهم حول هذا المصطلح.

المطلب الأول: التجديد لغة

جاء في لسان العرب تعريف للتجديد كونه أصل ذلك كله القطع... كقولهم: جدد الوضوء والعهد، ويقال: كبر فلان ثم أصاب فرحة وسرورا فجد جده كأنه صار جديدا⁶.

- وقولنا: أجده وجدده واستجده صيره جديدا فتجدد⁷.

وينقل الزبيدي كلاما لابن سيده عن تعريفه للجد مفاده: يقال: ملحفة جديدة وثوب جديد كما جده الحائك وهو في معنى مجدود، يراد به حين جده الحائك أي قطعه، ويقال ثوب جديد: قطع حديثا⁸.

- جدد الشيء، صيره جديدا، ويقال جدد العهد وثوبا لبسه جديدا⁹.

- وجد الشيء تجد بالكسر: صار جديدا وهو نقيض الخلق¹⁰.

- تجدد الشيء صار جديداً، وأجده وجدده واستجده أي صيره جديداً¹¹.
وعند اللغويين الجدد فإن معنى التجديد هو: جدد، يقال: جدد له ثوباً: أهدى له ثوباً جديداً، وجدد الخيل: ركب خيلاً أخرى غير التي كان يركبها¹².
وغير بعيد عن هذا التعريف فإن جدد بمعنى تجدد، يتجدد، تجدد فهو متجدد، تجدد البيت وغيره: مطاوع جدد: صار جديداً¹³.
ونقول: جد الشيء: صيره جديداً، ويقال: جدد العهد، وثوباً لبسه جديداً، وتجدد: الشيء صار جديداً، والضرع ذهب لبنه¹⁴.

وعليه فمن خلال التعاريف السابقة يمكن استنتاج أنّ اللغويين سواء القدامى أم المحدثين أجمعوا على أن التجديد هو جعل الشيء جديداً واستشهدوا بتسمية الليل والنهار بالجديدين لأنّ كلاهما يغير ما كان عند الآخر.

وعند اللغويين عندما يأتي في النص الفعل بصيغة المضارع - كما جاء في الحديث- دليل على الاستمرارية والدوام.

المطلب الثاني: التجديد اصطلاحاً

للخروج بتصور عام حول التجديد علينا العودة إلى آراء العلماء القدامى والجدد لحوصلة آرائهم حول التجديد.

يرى العلقمي أن التجديد يعني: "إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاها"¹⁵، وفي هذا فائدة عظيمة. في حين يرى المنادي أي غير بعيد عن هذا شارحاً الحديث السابق "يجدد لها دينها"، أي يبين السنة من البدعة ويكثر العلم وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم، قالوا: "ولا يكون إلا عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة"¹⁶ وفي هذا الصواب عينه.

أما شارح عون المعبود في شرح سنن أبي داود فيرى أن التجديد هو: "إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات"¹⁷.

ويرى المناوي في موضع آخر أن التجديد معناه "إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها، ويشترط في المجدد أن يكون عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، ناصراً للسنة قامعاً للبدعة، وأن يعم علمه أهل زمانه، وإنما كان التجديد على رأس كل مائة سنة لانخراط العلماء فيه غالباً، واندراس السنن وظهور البدع فيحتاج حينئذ إلى تجديد الدين"¹⁸ وهذا تحليل منطقي للتعريف، فكلما طال الأمد بأمة إلا وظهرت فيها البدع بغياب علمائها بوفاتهم، فجعل الله من السنن الكونية ظهور عالم يحيي السنة ويميت البدعة التي ظهرت في ذلك الزمان.

ويحدد القاري في المرقاة عمل المجدد بقوله: "أي يبين السنة من البدعة ويكثر العلم ويعز أهله ويقمع البدعة ويكسر أهلها"¹⁹.

ويعلق الشوكاني على هذا الحديث باعتباره يخص المجددين في الفقه أي المجتهدين بقوله: "وجود الاجتهاد في المذاهب حجة على المقلدين"²⁰، معنونا كلامه بقوله: "من أخطار التقليد والمقلدين".

وخلاصة ما رآه العلماء القدامى أن التجديد في الدين الوارد في الحديث مفاده هو إحياء ما جاء عن رسول الله ﷺ في زمنه الذي ربما اضمحل بالبعد عنه زمنيا ودفع كل بدعة دخلت على الدين، وكان سببها هو البعد الزمني الذي يفصل بين المبتدعين، حذر منه رسول الله ﷺ، والذي جعل الوافدين على الدين مع تنوع ملهم ونحلم يحملون معتقداتهم الخاطئة ويقحمونها في الإسلام عن قصد أو عن جهل.

وحتى نكون موضوعيين لابد من الرجوع إلى الخلف لكي نتعرف على نظرتهم عن التجديد ونقارنها برأي السلف لملاحظة الفروقات بينهما والخروج بتصوّر عام حول الموضوع. يرى الشيخ ابن تيمية أن: التجديد يكون بعد الدروس وذاك هو غربة الإسلام، وهذا الحديث يفيد المسلم أنه لا يغتم بقلبه من يعرف حقيقة الإسلام ولا يضيق صدره بذلك ولا يكون في شك من دين الإسلام كما كان الأمر حين بدأ²¹. ويرى الشيخ أن هذا "الدين في إقبال وتجديد"²². في حين يرى أحد المعاصرين - ورأيه غير بعيد عن سابقه - أن "التجديد هو ارتقاء بالأمة لتسلك طريقها مرة أخرى كلما بعدت عن الصحيح الأصل المتوارث"²³. وفي كلامه نبذ للتقليد وبحث عن الأصالة المنبثقة من العقيدة الصحيحة التي كان لها حجر الزاوية في كيان هذه الأمة. وفي شرح للحديث السابق فمعنى يجدد لها دينها "أنه كلما انحرف الكثير من الناس عن جادة الدين الذي أكمله الله تعالى لعباده وأتم عليهم نعمته ورضيه لهم ديناً، بعث إليهم علماء أو عالماً بصيراً بالإسلام وداعية رشيداً يبصر الناس بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ الثابتة ويجنبهم البدع ويحذرهم من محدثات الأمور ويردهم عن انحرافهم إلى الصراط المستقيم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فسمي ذلك تجديداً بالنسبة للأمة لا بالنسبة للدين الذي شرعه وأكمله"²⁴.

وعليه فمن سنن الله المطردة في هذا الكون الفسيح، ومن رحمة الله على عباده المؤمنين ألا يتركهم في غيهم بل جعل على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها، وفي رأيي مئة سنة - تعبير مجازي - أي كلما بعد بهم الزمن عن نبيهم، وظهرت البدع ومحدثات الأمور إلا وخرج من الأمة من يعيدهم إلى جادتهم أي الدين الصحيح.

لذلك يرى العلماء سلفهم وخلفهم بأن المقصود بالتجديد "الابد أن يكون على حين فترة من العلماء، واضمحلال شأن أهل الحق وحملة السنة، فيبعث الله هؤلاء المجددين ليعيدوا للناس الثقة بدينهم ويعلموهم ما جهلوا من شأنه وهكذا يبدو جلياً أن التجديد لا يعني بحال من الأحوال إضافة شيء جديد إلى الدين"²⁵.

وهذا أكبر دليل من السلف على أن التجديد هو إحياء وليس اختراع جديد في الدين، فرسول الله ﷺ بعث قبل أربعة عشر قرناً إلا أن الشريعة الإسلامية مستمرة ومحفوظة من الله الذي سخر لها من عباده كلما بعد الزمن عن المشرع الأول عباداً آخرين يحيون السنة ويدحضون البدعة بكل ما أوتوا من قوة وهذا داخل ضمن قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9). وبالعودة إلى الفقهاء نجد أنهم يتفقون مع المحدثين في نظرتهم للتجديد لأنّ التجديد له علاقة وطيدة بالفقه، وهو ما يطلقون عليه المجتهد أي الاجتهاد، لأنّ المجدد عند الفقهاء هو المجتهد الذي لا يخرج اجتهاده عن أصول الدين - الكتاب والسنة - فالمجتهد من يحوي علم الكتاب ووجوه

معانيه وعلم السنة بطرقها ومتونها ووجوه معانيها ويكون مصيبا في القياس عالما بعرف الناس²⁶.

وعليه فإن شرط الاجتهاد والتبع التجديد هو الالتزام بالكتاب والسنة لا اتباع الهوى كما حدث عند أصحاب البدع، واجتمع كثير ممن اشتغل بالفقه بالاستشهاد بالحديث السابق عندما يتحدثون عن الاجتهاد²⁷. وهذا دليل قاطع على استمرار هذا الدين حتى قيام الساعة.

ومن المعاصرين أيضا من أوضح لنا المعنى الحقيقي للتجديد²⁸ وذلك بتوحيد النظرة بين اللغويين وبعض العلماء باعتبار التجديد لا يعدو أن يخرج من معان ثلاث، وهي إما إلغاء القديم واستحداث شيء جديد يحل محله، وإما البناء على القديم والإضافة إليه والرأي الثالث هو العودة إلى الأصول الأولى وإعادة إحيائها من جديد، ثم يستشهد بالحديث السابق، ليسهب بعدها في إعطاء تعاريف للتجديد وقبلها يرجح معنى التجديد الخاص بالعلوم الشرعية، وهو المفهومين الثاني والثالث لأن في رأيه لا يصح الثالث في الشريعة التي وضعها شارع حكيم من طرف بشر.

وعليه فإنه بعد إلقاء نظرة على ما رآه اللغويون حول هذا المصطلح وبعد الاطلاع على آراء بعض العلماء، نخلص إلى أن التجديد المقصود من الحديث: هو إعادة بعث ما جاء في الشريعة وقراءته بلغة العصر حتى تواكب الشريعة عجلة الزمن المتسارعة وعدم إلغاء أي شيء منها مهما كان بسيطا، لأن الذي جاء به لا ينطق عن الهوى بل هو وحي أوحى إليه من لدن حكيم عليم.

فالحديث عن التجديد لا يعني تجديد نصوص ثابتة هي من قبيل الوحي قرآنا أو سنة، وهو بمثابة ثوابت لا مجال للتغيير فيها، ولكن الذي نواجهه اليوم من تحديات ومستجدات ونوازل يجعلنا أمام متغيرات لا بد من إيجاد حلول لها من النصوص الشرعية الثابتة (الكتاب والسنة)، وعليه فالحاجة أصبحت ملحة لتجديد أفهامنا إزاء النصوص الشرعية. وهذا هو المقصود بالتجديد، لتجدد الواقع ومشاغله الراهنة - المتغير - وهذا هو الدافع الذي جعل العلماء ينظرون إلى هذه المتغيرات التي لا بد لها من حل من الكتاب والسنة، والذي ساعد على إيجاد هذه الحلول هو ما تمتاز به هذه الشريعة من خصائص جعلتها تتميز عن غيرها من الشرائع التي مسها التحريف جراء هذا التجديد. ولأن الله ضمن سلامة الشريعة الإسلامية من التحريف، جعل بين الفينة والفينة تجديدا يجعلها تتعامل مع قضايا حادثة وراهنة بنصوص نزلت قبل أربع عشرة قرنا، وهذا من ميزات هذا الهدي الكثيرة ومن بينها الخلود، باعتبار أن الحوادث لا متناهية ومتغيرة تعي الزمان والمكان، والنصوص موجودة ناهيك أن بعد البشر عن المعين الصافي لهذه الشريعة والمصدر الأول لها نزولا، جعل الأحداث متغيرة لأن لكل زمان أهله ولكل مقام مقال.

وما تمتاز به هذه الشريعة من شمولية، أي تشمل الزمان والمكان وهي متغيرات شملتتها الشريعة، اقتضت نظرة متجددة لمسيرة هذه المتغيرات، وهي ميزة خص بها الله تعالى هذه الشريعة دوناً عن غيرها، وعلى رأس هذا كله تميزت شريعتنا بالثبات وفي نفس الوقت بالمرونة وعليه فإن التجديد يقابله شيان:

التجديد: الثوابت: النصوص الشرعية: الكتاب والسنة.

المتغيرات: الزمان والمكان، الأحداث.

ونظرا لما يمتاز به العصر الحديث من اختلاف للفهوم باختلاف الأشخاص، أصبح التجديد حتمية يفرضها الزمان والمكان، لمجابهة هذه المتغيرات المتسارعة انطلاقا من نصوص ثابتة. وهذا إما يجعل التجدد مقيد بضوابط دون إفراط أو تفريط، لأننا نعيش واقعا جديدا علينا قراءته وفك رموز شفراته، وإلا نكون كحاطب ليل؛ لا نميز بين ما نجمع ضارا كان أم نافعا.

والوسط الذي نعيش فيه تحكمه حضارات مبرمجة لا بد من التعايش معها والأخذ من معينها مع توخي الحذر حتى لا نكون فريسة لما هو جديد كما حدث مع الكثير من هذا العصر عندما نظروا إلى التجديد نظرة يمكن أن يقال عنها قاصرة، جعلت الشريعة تتأثر بهذا المصطلح الذي نظر إليه نظرة ضيقة جعلته يمس بالشريعة الصالحة لكل زمان ومكان دون إنقاص لمعانيها الشاملة والعامة.

وكخلاصة عن التجديد يمكن أن نقول عنه: أنه لولا التجديد لما أعيدت صياغة مختلف العلوم القديمة بأسلوب معاصر يواكب مقتضيات العصر، ويأتي بلغة يفهمها أهل ذلك العصر مع أن الأصل قديم لم يأت من المجدد، وهذا فيه فائدة عظيمة أكبر مما كانت عليه، كتحقيق المخطوطات التي فيها من العلوم ما قد يغيبها تركها على حالتها الأولى، وكذا إضافة الجديد لمختلف العلوم كالتفسير بأنواعها واستخدامات اللغة العربية التي تنوعت وأنواع الأحاديث المستجدة التي ساعدت أكثر على فهم حديث رسول الله ﷺ، واستحداث علوم جديدة كالمقاصد التي تساعد على فهم أكثر لعلم الفقه وغيرها من العلوم التي لم تكن قبل وفيها من الإيجابية ما ألحق بالنفع الكثير للأمة الإسلامية. وهذا نمط من التجديد جاء بمعنى نشر ما كان وإعادة إحيائه، وهناك تجديد آخر يأتي بمعنى الإضافة والإثراء وهذا تحتمه ضرورة العصر كأن يكون أمر فقهي حاصل حديثا - نوازل- تنتشعب عنه أمور مستحدثة تستلزم إيجاد حلول، تضطر الباحث لذلك، وهو ما نجده في كل مناحي الحياة، سواء كانت عامة أم خاصة تقتضي فقها لها سواء من ناحية المعاملات أم العبادات، وما حديث رسول ﷺ بقوله: "أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ"²⁹ إلا فتح مجال التجديد وإعطاء الفرصة لمن هم على علم أكثر من غيرهم على الاجتهاد وطبعا كما تماشى هذا الشرع دون مناقضته، أما التجديد الذي قد يتوصل إليه البعض وهو بمعنى الحذف والإلغاء فهو من التجديد الذي ابتدعه بعض المجددين.

والظاهر للعيان أن التجديد هو من ضرورات العصر التي تنبه لها الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى حين قال: "مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره"³⁰. وهذا فيه فرصة للكثير ممن جاء بعد الرسول ﷺ للإبداع وإبداء الرأي في أمور كثيرة مستجدة كما هو حاصل في زماننا وهذا طبعا من منطلقات شرعية لأن الذي يضبط المسلمين هو الشرع، ولكن مع تطور الزمان تتطور الأحداث، وعلى العالم أن يجد لها حولا لا تكون بعيدة عن الشرع، وهذا مصداقا للخيرية التي رآها رسول الله ﷺ في أمته "الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة"³¹.

وعليه فيمكن اعتبار التجديد في الدين هو العودة إلى منابعه الأصلية، ثم الاجتهاد في القضايا المستجدة على الساحة بعيدا عن التقليد والجمود والنظر إلى التراث بعين ناقدة محصنة لأنَّ "إنَّ

الإِيمَانُ لِيَخْلُقَ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبُ الْخَلْقُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ"32، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ، لذلك فهمه يحتاج دائماً إلى تجديد.

وخلاصة ما توصلنا إليه هو أن التجديد المقصود هو صقل وشحذ لما هو قديم ليكون أكثر فاعلية ونفعاً من ذي قبل ليواكب عجلة الزمن المتسارعة. والتجديد كما يراه البعض هو قراءة الزمن بالنص، ومع تغير الزمن وتغير المستجدات والحوادث تتغير القراءة، وهذا ما يجعل الشريعة صالحة لكل زمان ومكان.

وزبدة ما نصل إليه هو أن التجديد ضرورة ملحة تحتمها طبيعة هذا الدين ومميزاته الكثيرة أهمها الخلود. وهنا نكون أمام حوادث جديدة مع نصوص خالدة، بقي فقط البحث عنها وإسقاطها في وجهتها الصحيحة لأنَّ بعد الناس عن مصدر الشرع الأول يجعلهم في تيه لا بد من تذكيرهم بالأصل، فالشريعة ميزتها أيضاً الشمولية فهي تشمل الزمان والإنسان، أي حوادث لا بد لها من تفسيرات من الشرع وهذه ميزة تختص بها الشريعة وهي المرونة والثبات.

وبالتوفيق بين شروح وأقوال العلماء حول حديث التجديد وبين اللغويين يرتفع اللبس عن مصطلح التجديد وخاصة إذا ربطناه بالدين، فاعتباره إحياء وإعادة بعث يرفع عنه اللبس ويجعله ميزة تميزت بها هذه الشريعة، ويضرب برأي من اعتبره إزالة القديم والإتيان بالجديد عرض الحائط.

وعليه فإنَّ ما خلفه علماء الخلف يعتبر لبنة أساسية وجده السلف واعتمدوا عليه في تشييد ما بنوه، عندما نقحوا وأضافوا تحليلات على ما وجدوه، يجعل الشريعة خصبة تتنوع بتنوع الأجيال لأنَّ العلوم بأنواعها لا تقتصر على جيل سابق دون اعتبار للجيل اللاحق، وهذا هو المغزى من التجديد.

إن التجديد لا يقبل على الإطلاق بلفظه، ولا يمكن اعتبار كل من أضاف مجدداً، وإنما نربط هذا بضوابط وشروط تجعل التجديد ميزة تميزت بها هذه الشريعة لأنَّ هناك تجديدًا حرّف الشريعة وأبعدها عن أصولها بدعوى التحضر والرقى وهذا مرفوض عقلاً وشرعاً.

وإنكار التجديد قد يعيب على الشريعة الإسلامية توقفها عند حقبة زمنية معينة والفهم بما فهم به السابقون لهذا الشرع، وهذا تعطيل للشريعة لأنَّ "كل يؤخذ منه ويرد" كما أثر عن الإمام مالك، وهذا فيه دليل على إعطاء فرصة للجميع في التفكير في الأشياء وإعطاء الآراء حولها ولكن لا بد فقط من الوقوف على الضوابط والشروط التي حددها الشرع. وهذا من ميزة الهدي النبوي ودليله قوله ﷺ في قضية تأبير النخل "أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ"33.

وبهذا أعطى رسول الله ﷺ الفرصة لأصحاب الدراية والعلم على الإدلاء بدلائهم في الأمور الدنيوية وليس الشرعية الثابتة، وللمجدد شروطاً أجمع عليها العلماء، ولا يمكن اعتبار كل من جاء برأي جديد بل يستطيع أن يكون مخالفاً لما جاء في الدين، مجدداً حتى لا تقع فتنة في الأرض وفساد كبير.

المبحث الثاني: الأحاديث التي تدعم وتعزز حديث التجديد

ولأن التجديد سنة فطرية نجد له الكثير من الأحاديث التي تعزز حديث التجديد، والتي تبين أن الشريعة مستمرة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، - وما هذا إلا دليل على أن المستجدات لها سند من القرآن أو السنة وهي ميزة هذا الشرع- نذكر منها:

الحديث الأول: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ"³⁴.

في الحديث إشادة بمن يجتهد في دين الله، ويسن سنة حسنة يتركها بعده فيتبعه غيره، وفي المقابل الذي يخلف وراءه سنة سيئة فيتبعه الناس فيها، ذمه الشرع وحذره من الوزر.

الحديث الثاني: حديث آخر مفاده: "يَرِثُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ غَدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْعَالِينَ"³⁵.

أي أن في كل خلف نجد من يعتد به، ويكون عادلا ينفي عن الدين تأويل الجاهلين وتحريف المبطلين. وهذا نشر للسنة وإبعاد للبدعة، وما هو إلا تجديد.

الحديث الثالث: حديث آخر جاء فيه: "لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ"³⁶. أي أن عباد الله الذين يستعملهم في خدمة عبادته وبالتبع خدمته تعالى مستمرين استمرار هذا الدين.

وهذه كلها أحاديث تدعم معنى حديث التجديد في الدين بالمفهوم الصحيح للكلمة، وهذه الأحاديث تدل على أن هذه الشريعة متجددة تجدد الزمان والمكان وأنه ليس عيبا في هذا، بل هي من الضرورات التي يحتملها التغيير الحاصل في كل زمان ومكان ولأن الشريعة دائمة فصلاحها لكل زمان ومكان يقتضي أدلة شرعية لسد أفواه المغالين في أمر التجديد أو المنكرين جملة وتفصيلا بحجة التمسك بالأصل، وأن ما زاد عنه يعتبر بدعة، قد يوصلها البعض إلى اعتبارها منكراً.

ولأن الرسول ﷺ يعتبر "مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ"³⁷، ولأن عباد الله لا يحيدون عن الحق قال رسول الله ﷺ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ"³⁸، وهذه الطائفة يحتمل أن يكون منهم المجددون الذين يحيون سنة النبي ﷺ.

وما تزال الأحاديث كثيرة نفهم منها تعصيда للتجديد في هذا الدين المقصود منه إحياء الدين ببيانه للناس ودفع كل بدعة ضالة عنه "مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ"³⁹ أي أن أمة ﷺ يوجد فيها الخيرون حتى آخر الزمان.

خاتمة:

وخلاصة ما نصل إليه بعد هذه الدراسة لهذا الموضوع من خلال السنة النبوية المطهرة على صاحبها أزكى التسليم، بالبحث والتقصي نجد:

- أن الحديث الوارد في التجديد صحيح سندا وممتنا.

- أن هناك الكثير من الأحاديث والآيات تعضد الحديث.
- أن التجديد في الدين ميزة، وهو ظاهرة إيجابية باعتباره إحياء وإعادة بعث لما اندرس ليواكب عجلة الزمن المتسارعة.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت.
- 2- الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1.
- 3- الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1411هـ.
- 4- الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين، القاهرة.
- 5- البيهقي، معرفة السنن والآثار، تحقيق عبد المعطي أمين جامعة الدراسات الإسلامية باكستان، دار قتيبة بيروت، دار الوعي حلب، دار الوفاء القاهرة، ط1، 1991م.
- 6- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ.
- 7- الفيروزبادي، القاموس المحيط، تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، نشر مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط2، 1426هـ.
- 8- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين دار الهداية.
- 9- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ط12.
- 10- الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ.
- 11- زين الدين الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ط5، 1420هـ.
- 12- رينهايت بيتران دوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط1، 1979م.
- 13- أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ.
- 14- المناوي، فيض القدير، شرح الجامع الصغير، المكتبة التبارية الكبرى، مصر، ط1، 1365هـ.
- 15- أبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ.
- 16- القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت ط1، 1422هـ.
- 17- الشوكاني، ولاية الله والطريق إليها، تحقيق: إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة، مصر.
- 18- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1416هـ.
- 19- محمد أحمد إسماعيل المقدم، عودة الحجاب، دار طيبة، ط1، 1426هـ.
- 20- عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع، الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده، دار التدمورية، ط3، 1424هـ، المقدمة (8/1).
- 21- المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، باب التجديد في الإسلام (8/2).
- 22- محمد عميم الإحسان المجددي، قواعد الفقه، الصدف ببلشوز - كراشتي -.

- 23- القاضي أبو يعلى ابن الفراء، العدة في أصول الفقه، تحقيق وتخريج: د. أحمد بن علي بن سير المباركي، بدون ناشر، ط2، 1410هـ.
- 24- القرافي، الفروق، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- 25- التوبجري، موسوعة الفقه الإسلامي، بيت الأفكار الدولية، ط1، 1430هـ.
- 26- ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، تحقيق: سيد سابق، دار الجيل بيروت، ط1، 1426هـ.
- 27- سيد سابق، فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1397هـ.
- 28- مسعود فلوسي، جريدة البصائر الجزائرية، العدد 852، أبريل 2017.
- 29- مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل من العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 30- أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ.
- 31- ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- 32- محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
- 33- أبو داود، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط1، 1419هـ.
- 34- محمد بن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: وتخريج شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ.
- 35- الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة.
- 36- مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الهوامش:

- 1- أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة برقم 4291 (109/4).
- 2- الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1، 1411هـ، كتاب الفتن والملاحم باب أما حديث أبي عوانة (567/4).
- 3- الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها (148/2).
- 4- الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين، القاهرة، في باب الميم، كتاب من اسمه أحمد (333/6).
- 5- البيهقي، معرفة السنن والآثار، تحقيق: عبد المعطي أمين، جامعة الدراسات الإسلامية باكستان، دار قتيبة بيروت، دار الوعي حلب، دار الوفاء القاهرة، ط1، 1991م، (208/1).
- 6- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ، فصل الجيم (111/3).
- 7- الفيروزبادي، القاموس المحيط، تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، نشر مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط2، 1426هـ، فصل الجيم، (271/1).
- 8- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، باب جدد (271/7).
- 9- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ط2، باب الجيم (109/1).

- 10 - الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4/ 1407 باب جدد (454/2).
- 11 - زين الدين الرازي، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية، الدار النموذجية بيروت، ط 5/ 1420 باب جدد (54/1).
- 12 - رينهايت ببيتران دوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد سليم النعيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط 1، 1979م، باب جد (148/2).
- 13 - أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط 1، 1429هـ، (1/248).
- 14 - مجمع اللغة العربية القاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة، باب الجيم (109/1).
- 15 - بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة السعودية، 2012 ص 21.
- 16 - المناوي، فيض القدير، شرح الجامع الصغير، المكتبة التبارية الكبرى، مصر، ط 1، 1365هـ، باب حرف السين (88/4).
- 17 - العظيم أبادي عون المعبود شرح سنن أبي داود ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1415هـ، باب ما يذكر في قرن المائة (260/11).
- 18 - المناوي، فيض القدير، شرح الجامع الصغير، المكتبة التبارية الكبرى، مصر، ط 1، 1365هـ، باب حرف السين (88/4).
- 19 - القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت ط 1، 1422هـ، كتاب العلم (221/1).
- 20 - الشوكاني، ولاية الله والطريق إليها، تحقيق: إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثية، مصر، باب وجود الاجتهاد في المذاهب حجة على المقلدين (226/1).
- 21 - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1416هـ، باب قوله: "ثم يعود غريباً" (297/18).
- 22 - المصدر السابق، باب نصح الإمام لغازان اتباعه (619/28).
- 23 - محمد أحمد اسماعيل المقدم، عودة الحجاب، دار طيبة، ط 1، 1426هـ، باب السلفية والتقدم (360/1).
- 24 - عبد الله بن محمد، بن عبد المحسن المطوع، الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده، دار التدمورية، ط 3، 1424هـ، المقدمة (8/1).
- 25 - المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، باب التجديد في الإسلام (8/2).
- 26 - محمد عميم الإحسان المجددي، قواعد الفقه، الصدف بيلشوز، كراشتي، باب الرأ (466/1).
- 27 - أمثال القاضي أبو يعلى ابن الفراء في كتابه العدة في أصول الفقه، تحقيق وتخريج: د. أحمد بن علي بن سير المباركي، بدون ناشر، ط 2، 1410هـ، باب دليلنا (1173/4)، القرافي، الفروق، بدون طبعة وبدون تاريخ، باب الفرق بين قاعدة من يجوز له أن يفتي وبين قاعدة من لا يجوز له أن يفتي (121/2)، ومن المعاصرين، التويجري، في موسوعة الفقه الإسلامي، بيت الأفكار الدولية، ط 1، 1430هـ، في المقدمة (11/1)، وولي الله الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة، تحقيق: سيد سابق، دار الجبل بيروت، ط 1، 1426هـ، باب من أبواب الاعتصام بالكتاب والسنة (289/1)، وسيد سابق، في فقه السنة، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ط 3، 1397هـ، باب التشريع الإسلامي أو الفقه (14/1).
- 28 - مسعود فلوسي، وجهة نظر في تجديد العلوم الشرعية، جريدة البصائر الجزائرية، العدد 852، أبريل 2017، ص 18.

- 29 - مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي (1836/4) برقم 141، 2363.
- 30 - أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 5/153.
- 31 - إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهرة، 1351 هـ، ج 1، ص 396، وقال: "قال في المقاصد قال شيخنا لا أعرفه ولكن معناه صحيح".
- 32 - أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (45/1).
- 33 - الحديث سبق تخريجه في الصفحات السابقة.
- 34 - أخرجه مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل من العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر (704/2) برقم 1017/69.
- 35 - أخرجه أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424 هـ، باب الرجل من أهل الفقه يسأل.. (53/10) برقم 20911.
- 36 - ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، باب اتباع سنة المصطفى ﷺ (5/1) برقم 8.
- 37 - محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، الباب السادس (449/4)، أبو داود، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط1، 1419 هـ، باب عمار بن ياسر (28/2)، محمد بن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: وتخريج شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408 هـ، باب ذكر خبر أوهم من لم يحكم صناعة الحديث (210/16)، وأخرجه الطبراني بزيادة "إنما" برقم 458 في المعجم الأوسط، باب من اسمه علي، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة (221/4) وحكم الألباني بأنه حديث حسن صحيح.
- 38 - مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب قوله ﷺ: لا تزال...، (1534/3) برقم 1037، 174.
- 39 - المرجع نفسه.